## الدرس الثامن عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم إنا نسألك علمًا نافعا ورزقًا طيبا وعملًا متقبلا.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغفر له في كتابه «أصول الإيمان» :

### باب الوصية بكتاب الله عز وجل

**وعن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله : ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** [آل عمران:٧] **، قالت : قال : ((فإذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)) متفق عليه .**

**********

المصنف رحمه الله تعالى عقد ترجمةً مرت معنا بعنوان «باب الوصية بكتاب الله عز وجل» ، وجمع رحمه الله تعالى جملة من الدلائل من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فيها الوصية بكتاب الله عز وجل عنايةً به ومحافظةً عليه وتلاوةً له وتدبرًا لآياته وعملًا بها وإيمانًا بمتشابهه وعملًا بمحكمه وقيامًا بأوامره ونواهيه كما أمر الله تبارك وتعالى عباده بذلك وكما أمر بذلك رسوله عليه الصلاة والسلام ، ومن جملة ما أورده رحمه الله من الدلائل في هذا الباب حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها **عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا قول الله عز وجل : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** [آل عمران:٧] ؛ وهذه الآية العظيمة المباركة التي تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

بيانٌ لحال أهل الإيمان مع كتاب الله عز وجل وحال أهل الزيغ والعياذ بالله مع كتاب الله عز وجل ، وأن حال أهل الإيمان مع كتاب الله هو الإيمان والتسليم واعتقاد أن المحكم والمتشابه كل ذلك من عند الله؛ فيؤمنون به ويردون ما تشابه منه إلى المحكم ، وأن حال أهل الزيغ والعياذ بالله اتباع المتشابه من كتاب الله عز وجل ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

وقد بدأ الله جل وعلا هذه الآية الكريمة ببيان أن آيات القرآن الكريم على نوعين: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فذكر جل وعلا أن آيات القرآن على قسمين:

١. قسم محكم وصفه تبارك وتعالى بأنه أم الكتاب ، وأم الشيء: أصله وأساسه وما عليه المعوَّل منه .

٢. والقسم الثاني: آيات متشابهات ، والمراد بالتشابه: أي في المعنى بحيث يكون معناها ليس ظاهرًا لكل الناس ليس واضحًا لكل الناس ، بل لا يكون واضحا إلا للعلماء الراسخين والأئمة المحققين .

قال: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ووصف تبارك وتعالى المحكم بأنه أم الكتاب ، وأم الشيء عرفنا أنه أصله الذي عليه يعوَّل وإليه يُرجع ، ولهذا وصفهم بأنهم يعيدون ما تشابه عليهم من آيات الله عز وجل إلى المحكم ، يعيدون ما خفي عليهم من الآيات وما اشتبه عليهم من معانيها إلى ما أحكم من آيات الله أي ما كان واضحا بينا ظاهرًا ؛ هذا شأن أهل الإيمان .

والمراد بالإحكام والتشابه هنا: الإحكام من حيث ظهور المعنى وبيانه ، والتشابه خفاء المعنى وعدم ظهوره ، وليس في القرآن آيةٌ تخفى على كل أحد حتى على الراسخين ، لكن في القرآن آيات متشابهات تخفى معانيها على كثير من الناس ولا يعلمها إلا الراسخون كما قال ابن عباس رضي الله عنه لما تلا هذه الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ قال «أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله» أي يعلمون تأويل المتشابه ، ويقول مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى : «قرأتُ القرآن كله على ابن عباس رضي الله عنهما أقِفه عند كل آية أسأله عن معناها» ، فالراسخون في العلم يعلمون معاني الآيات المتشابهات وهي في حقهم تكون واضحات لا تشابه فيها، لأن هذا التشابه تشابهٌ نسبي ليس في حق الناس عمومًا وإنما في حق كثير من الناس ، أما الراسخون في العلم فإنهم يعلمون معاني المتشابه ويردُّون ما تشابه من آي القرآن إلى المحكم . قال: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي قلوبهم والعياذ بالله زائغة مريضة دخلتها الأهواء والضلالات والأباطيل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ لماذا ؟ ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ هذا غرضهم من اتباع المتشابه؛ ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾

أي الفتنة بين الناس في دينهم وإيمانهم وعقيدتهم وذلك بصرفهم عن الاعتقاد الصحيح والإيمان الراسخ المستمد من كتاب الله عز وجل وشغلهم بالأهواء والضلالات ،﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي تأويل القرآن بحمله على غير معناه وصرفه إلى غير مدلوله وغير مقصود الرب تبارك وتعالى منه .

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾بالوقف، وأيضًا ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أي والراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه ، والمراد بتأويله: أي بتفسيره ، لأن التأويل يطلق ويراد به التفسير ، ويطلق ويراد به معرفة مآل الشيء وحقيقته .

فإذا كان المراد بالتأويل التفسير فيجوز الوصل ، لأن الراسخين في العلم يعلمون تفسير ومعاني الآيات المتشابهات فيجوز الوصل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾أي أن الراسخين في العلم يعلمون تفسير المتشابه بردِّه إلى المحكم البيّن .

ويطلق التأويل في القرآن ويراد به مآل الشيء وحقيقته؛ وعلى هذا المعنى يلزم الوقف ، لأن هذا أمر لا يعلمه إلا الله ، يلزم الوقف ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ . ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ .

وقراءة الوصل والوقف بملاحظة معنى الآية ومدلولها يرجع أيضا إلى فهم معنى المتشابه :

- لأن التشابه قد يراد به التشابه من جهة الحقيقة والكيفية ؛ حقائق ما أخبر الله عز وجل به من المغيبات وعن نفسه تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته وكيفيات ذلك ، فالتشابه هنا ليس تشابهًا نسبيا وإنما هو تشابهٌ مطلق .
- وقد يراد بالتشابه التشابه من حيث المعنى؛ وهو هنا يكون تشابها نسبيا ؛ أي في حق كثير من الناس ، أما الراسخون في العلم فإنهم يعلمون تأويله .

وإذا فُهم من التشابه تشابه المعنى جاز الوصل؛ لأن الراسخين في العلم يعلمون تأويله أي تفسيره ، فالتشابه يراد به من حيث الحقيقة ويراد به من حيث المعنى ، فإذا كان المراد به من حيث الحقيقة والكيفية فحينئذ لابد من الوقف ، لأن تأويل المتشابه بمعنى حقيقته وكيفيته لا يعلمه إلا الله ، وقد يراد به أي بالتشابه أي التشابه من حيث المعنى ، فإذا كان هذا المراد فيجوز الوصل لأن الراسخين في العلم يعلمون معاني المتشابه ، وقد مر معنا قول ابن عباس رضي الله عنهما «أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله» أي يعلمون تفسيره .

قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أي المحكم والمتشابه من آي القرآن الكريم كل ذلك من عند الله . وإذا آمن المسلم بأن كل ذلك من عند الله تبارك وتعالى فإنه لا يضرب كلام الله عز وجل بعضه ببعض ، لأن كلام الله عز وجل ليس فيه اختلاف ولا تناقض ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ

مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢] . فإذا تشابه على العبد شيء من معاني الآيات ولم يتضح له معناه فليردَّه إلى المحكم البيّن ، وإذا أيضا شُبِّه عليه في بعض معاني الآيات وأُفهِم منها معاني غير صحيحة من قِبل أهل الأهواء والضلال فليردَّ ما تشابه عليه أو شُبِّه عليه من الآيات إلى المحكم منها .

وحتى يتضح المقصود أضرب على ذلك مثالًا في أعظم الأمور وأجلها على الإطلاق ألا وهو توحيد الله عز وجل الذي خلق الخلق لأجله وأوجدهم سبحانه وتعالى لتحقيقه ؛بأن يفرد عز وجل بالعبادة بجميع أنواعها ، بالصلاة الصيام والحج والذبح والنذر والتوكل والاستغاثة والرجاء والدعاء وغير ذلك من أنواع العبادة، فكل ذلكم حق لله ؛ هذا أمر محكم بيّن ودلائله في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لا تُحصر إلا بكلفة ، كثيرة جدا ، قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء:٣٦] ، وقال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣] ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة:٥] ، وقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر:٣] ، ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [الأنعام:١٥١] ، الآيات في هذا كثيرة جدًا. ومن العبادة الدعاء ، بل قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((الدعاء هو العبادة)) وتلا قول الله عز وجل ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠] فسمى تبارك وتعالى الدعاء عبادة ، وجاء في القرآن آيات كثيرة تدل على أن الدعاء عبادة وأنه حق لله؛ ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [الأحقاف:٥] قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر:١٣] وقال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء:٥٦] ، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ:٢٢] والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والأحاديث أيضا في هذا المعنى كثيرة جدًا ، يقول عليه الصلاة والسلام ((من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار)) ، ويقول عليه الصلاة والسلام : ((إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)) هذا أمر محكم بيّن؛ أن العبادة حق لله والدعاء من العبادة فلا يجوز أن يصرف الدعاء إلا لله ، لا يُدعى إلا الله ، كما أنه لا يركع ويُسجد ويصلى إلا لله فكذلك الدعاء لا يدعى إلا الله الدعاء عبادة حق لله عز وجل ﴿ أَمَّنْ

﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢] ، فالدعاء عبادة ، والعبادة حق لله عز وجل ، وصرفها لغيره تبارك وتعالى شرك بالله عز وجل ، هذا مر محكم بيّن واضح مثل وضوح الشمس في رابعة النهار ، واضحٌ لا خفاء فيه ، بيّن لا التباس ولا اشتباه فيه محكم في كتاب الله وآياته كثيرة جدا تراها في القرآن الكريم وتراها في أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

فإذا جاءك شخص بآية أو بحديث وأراد من خلال هذه الآية أو الحديث أن ينقلك عن هذا الأصل العظيم البيّن المحكم ، لو جاءك رجل من أهل الزيغ وأراد أن ينقلك عن هذا الأصل بشيء اشتبه معناه عليك مثل أن يأتيك ويقرأ عليك قول الله عز وجل ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥] ويقرأ عليك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء:٥٧] وقال لك: الوسيلة أن تجعل واسطة بينك وبين الله من الأولياء ومن الأنبياء ومن الصالحين تدعوهم وتطلب منهم حتى يقربوك من الله لأن لهم مكانة وجاه عند الله سبحانه وتعالى، حتى يقربوك من الله عز وجل وحتى يكونوا شفعاء ووسطاء لك عند الله ، فأراد أن ينقلك بهذا الأمر عن المحكم البيّن من آيات كتاب الله عز وجل فكيف تكون صانعًا في مثل هذه الحال؟ تترك الآيات الواضحات البينات التي يدعوك فيها رب العالمين ويدعوك رسوله عليه الصلاة والسلام إلى التوجه إليه وحده بالدعاء والسؤال والطلب!! يقول عليه الصلاة والسلام لابن عباس ((إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله)) ، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] ، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] .

لاحظ هنا ملاحظة نبه عليها أهل العلم في معنى الآية جميلة جدا وهي أن سورة البقرة فيها آيات عديدة يقول الله عز وجل فيها {يسألونك} ثم يأتي الجواب {قل} كذا ؛ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة:٢٢٢] ، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٩] ، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة:٢٢٠] آيات كثيرة يسألونك ويأتي الجواب بـ«قل» . هنا قال ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ لم يأت «قل»، قال ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، ما في واسطة الذي يريد أن يدعو الله باب الله عز وجل مفتوح في كل وقت ، في أي ساعة من ليل أو نهار في أي بلد كنت في الدنيا في أي موضع كنت ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، هل يحتاج من يدعو الله عز وجل أن يذهب إلى ضريح يقف عنده حتى يقبل الله دعاءه عند الضريح!! أو يذهب إلى قبة أو إلى مكان أو نحو ذلك أو أن باب الله عز وجل مفتوح لك في أي مكان كنت!! ﴿وَإِذَا

سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ أينما تكون مد يديك إلى الله وسله وألح عليه ((ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة)) ، فأينما كنت توجه إلى الله عز وجل توجه إليه بالسؤال بالدعاء بالطلب .

فإذا أراد أحد أن ينقلك عن هذا الأصل المحكم البين الواضح بشيء من المتشابه ،كأن يتلو عليك الآيات المتقدمات ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء:٥٧] وأفهمك أن الوسيلة هي الواسطة ، وهذا من المفاهيم المغلوطة ، الواسطة التي يدعوك أن تتجه إليها لتكون وسيلة لك عند الله ؛ فما أنت صانع؟

المنهج السديد أمامك في هذه الآية ؛ تتبع المحكم الذي هو أم الكتاب ، وما تشابه من آيات الكتاب عليك أعِده إلى المحكم وقل: الدعاء حق لله ، ولا يدعى إلا الله ، ولا يسأل إلا الله ، ولا تمد اليدين يا رب يا رب ولا يلتجأ إلا إلى الله سبحانه وتعالى ، ولا يمكن أن أنتقل عن هذا الأمر المحكم ، وهذا الذي ذكرتَ لي في هذه الآية إن كنت تفهم معناه فبينه ، وإذا كنت لا تفهم معناه قل لا أعرف معناه واسأل عنه أهل العلم ، أما أنا لا يمكن أن أنتقل عن هذا المحكم البين الذي هو أبين الأمور وأوضحها .

وهنا يا إخوان يأتي أمر مؤلما حقيقة ألا وهو: أن عوام الناس يلبَّس عليهم ولا تُذكر لهم هذه الآيات المحكمات في هذا الباب ويذكر لهم دعاة الباطل أشياء متشابهة وأحاديث موضوعة وقصص مختلقة فيبعدونهم عن الإخلاص لله تبارك وتعالى إلى التعلق بالموتى والمقبورين والبكاء عند القبور والالتجاء إلى أهلها ، حتى إن بعضهم ليبكي ويخشع عند القبر ما لا يبكي ويخشع عندما يصلي بين يدي الله ، يقف عند القبر خاشعا باكيا ذليلا متذللا وإذا وقف يصلي أمام الله سبحانه وتعالى لا يخشع ولا يذل ولا يبكي ولا يدمع!! وهذا من المفاهيم المغلوطة التي نشرت بين العوام والجهال .

بل من عجيب أمرهم –أعني دعاة الباطل– أنهم غرسوا في نفوس كثير من العوام عدم الإصغاء للآيات المحكمات وأوهموهم أن الآيات المحكمات متشابهة وأنها لا تُفهم ولا ينبغي لأحد أن يفهمها . وأذكر هنا أيضا قصة جميلة قرأتها في كتب أحد أهل العلم: أن رجلا زار شخصًا فلاحظ عليه أنه يمارس أمورًا شركية من دعاء وتوسل واستغاثة والتجاء إلى غير الله فأحب أن ينصحه فقرأ عليه آيات في هذا الباب فيها أن الدعاء حق لله وفيها التحذير من الشرك والاستغاثة بغير الله تبارك وتعالى فقال الرجل: "قف لا تقرأ علي هذه الآيات هذه الآيات متشابه وأنا وأنت لا نفهم هذه الآيات" ، وهي آيات واضحات فيها النهي عن عبادة غير الله ، فسكت هذا الرجل وتوقف عن الكلام وانتظر ثم دخلت صغيرة لصاحب البيت لمن كان ينصحه عمرها ست سنوات أو سبع سنوات ، فلما دخلت التفت إلى صاحبه وقال لماذا لا تتزوج هذه؟ يقصد لماذا لا تتزوج بنتك الصغيرة هذه؟ فغضب قال: سبحان الله كيف تقول هذا الكلام!! قال: ماذا فيه لماذا لا تتزوجها؟ قال هذا حرام قال : ومن أين عرفت أنه

حرام؟ قال الله عز وجل يقول ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾[النساء:٢٣] قال: هذا لا نفهمه نحن ، كيف الآيات التي فيها تحريم الشرك والدعوة إلى التوحيد تقول لا نفهمها، وهنا تأتي وتستدل بآية!! أراد أن ينبهه إلى أن مثل هذه الأمور مغالطات في أشياء بينة وواضحة .

وأقول لكم أيها الإخوة: إن تحذير الله عز وجل في القرآن من الشرك ودعوته للتوحيد هذا أوضح الأمور ، وكيف لا يكون أوضح الأمور وأبينها وهو أعظم أمرٍ خُلقنا لأجله وأوجدنا لتحقيقه ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦] ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦] هذه هي الغاية التي خُلقنا لأجلها وأوجدنا لتحقيقها .

فهذا أيها الإخوة منهج مبارك يستفاد من هذه الآية الكريمة ينبغي أن يكون عليه المسلم ؛ أمور الدين وأصوله ينبغي أن تُضبط وأن تُعرف بأدلتها وأن تُفهم ، وإذا عارضك معارض أو لبَّس عليك ملبِّس أو شبَّه عليه مشبِّه رُدَّ المتشابه إلى المحكم ودعك من كلام أهل الزيغ والضلال ، ولهذا النبي عليه الصلاة والسلام لما تلا هذه الآية الكريمة قال : ((**فإذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**)) إذا رأيتم أناسا يتبعون المتشابه منه أي من القرآن ويتركون المحكم فأولئك الذين سمى الله ، سماهم بماذا ؟ سماهم بالزيغ قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾[آل عمران:٧] ((أولئك الذين سمى الله)) أي سماهم بالزيغ ووصفهم بالزيغ ، والزيغ هو الانحراف والجنوح ، ((أولئك الذين سمى الله فاحذروهم)) يعني احذر أن تسمع إليهم وأن تصغي إليهم وأن تسمع كلامهم ، لأنهم بكلامهم يشبِّهون عليك ويلبِّسون عليك ويحرفونك عن الجادة السوية .

والمؤلف رحمه الله تعالى له كلام عظيم جدا في شرح هذه الآية وبيان معناها وتوضيح دلالتها في كتابه «كشف الشبهات».

قال رحمه الله تعالى :

**وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خطَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطَّاً بيده ثم قال : ((هذا سبيل الله)) ، ثمَّ خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال : ((هذه سُبُل على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه)) وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] رواه أحمد والدارمي والنسائي .**

**********

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : **خطَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًّاً بيده ثم قال : ((هذا سبيل الله)) ، ثمَّ خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال : ((هذه سُبُل على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه))** ، وهذا من كمال نصح النبي عليه الصلاة والسلام لأمته وحسن بيانه وجمال تعليمه صلى الله عليه وسلم ؛ خط بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم خطًا مستقيمًا ليس فيه التواء أو انحراف ، وخط على جنبتي هذا الخط المستقيم خطوط تخرج عن هذا الصراط المستقيم ذات اليمين وذات الشمال، وقال عليه الصلاة والسلام عن الخط المستقيم: ((هذا صراط الله المستقيم)) الذي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يسلكه وأن يحافظ عليه ، قال : ((وهذه سبل)) يعني طرق ((وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه)) ومر معنا بالأمس قول عبد الله بن مسعود : «إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين ينادون يا عبد الله هنا الصراط هلمَّ إلى الصراط» يعني السبل التي عن يمين الصراط وعن شماله على كل سبيل منها شيطان تحضر الشياطين وتنادي الإنسان تريد أن تخرجه من صراط الله المستقيم ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦-١٧] .

ولاحظ ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ أي أكثر الناس في قديم الزمان وحديثه يكونون صرعى للشيطان والعياذ بالله ، يخرجهم عن الصراط المستقيم ، وفي الحديث الصحيح قال عليه الصلاة والسلام: ((إن الشيطان قاعد لابن آدم بأطرقه)) يعني في كل طريق يسلكه ابن آدم فالشيطان قاعد له في طريقه ، وله حيل ومكر وخدَع وله مصائد وفخوخ وطرائق عديدة لإغواء الناس وصدهم عن سبيل الله ، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق ، قال بعض السلف : «عدو يراك ولا تراه شديد المؤنة» . فإذا تنبه العبد لهذا وعرف أن الشيطان جالسٌ له في الصراط المستقيم يجاهد نسفه حتى قال مجاهد رحمه الله من أئمة التابعين أخذًا من هذه الآيات ومن هذه الأحاديث قال كلمة عجيبة : «ما خرجت رفقة للحج إلا أرسل الشيطان معهم مثل عددهم» كل فوج للحج يرسل معهم الشيطان فوج مثل عددهم، ما مهمتهم هؤلاء؟ والشيطان يأتي يوم عرفة ((وما رأي الشيطان أحقر ولا أذل منه في يوم مثل يوم عرفة)) لما يرى من غفران الله عز وجل الذنوب لعباده في ذلك اليوم العظيم ، فالشيطان جالس لابن آدم بأطرقه؛ طريق الصلاة طريق الصيام طريق الحج طريق العمرة ، أي طريق يمشي فيه الإنسان من طرق الخير الشيطان قاعد له فيه ولا يريد منه أن يتمه وأن يكمِّله ، حتى في الحج يقعد الشيطان للإنسان بهذا الطريق وهو يريد أحد أمرين : إما يريد من الإنسان أن يفعل أمور زائدة عن الحد هي من الغلو في الدين ، أو يريد منه أن يقلل من أعمال الحج ، ولا يبالي بأي الأمرين ظفر إما غلو أو جفاء ، لا يريد من الناس أن يفعلوا الحج والطاعات والعبادات كما أمرهم الله ، يريدهم إما أن يزيدوا على المأمور أو يُنقصوا من المأمور ، وهو لا يزال يجاهدهم على ذلك ، إذا وجد الإنسان كما جاء عن بعض السلف قال : «الشيطان يشام القلوب، فإذا وجد

الإنسان متمسك دعاه إلى الغلو ، وإذا وجده مفرط متهاون دعاه إلى التقصير» ، فالشيطان قاعد لابن آدم بكل طريق يسلكه بغية إخراجه عن صراط الله المستقيم ؛ وهذا يتطلب من العبد مجاهدة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت :٦٩] واستعانة بالله ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨] تتعوذ بالله عز وجل من هزات الشيطان وتتعوذ بالله من حضوره في مكانك ومجالسك ، وتسأل الله عز وجل أن يبعده عنه وأن يعيذك منه وأن يسلّمك من شره وكيده .

قال: ((**وعلى كل سبيل منها شيطان**)) ما هي مهمته؟ قال ((**يدعو إليه**)) وهنا لو تلاحظ أن السبل التي على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه هل هي نوع واحد أو مسلك واحد أو هي طرائق ومسالك؟ الشيطان قاعد لابن آدم بأطرقه ليخرجه عن الصراط المستقيم؛ إما إلى فواحش محرمات آثام ، ترك للفرائض والواجبات أو وقوع في البدع والضلالات والشركيات ، منوعة السبل التي يريد الشيطان أن يخرج الإنسان إليها ، وأحب شيء إلى الشيطان أن يقع فيه الإنسان هو الشرك بالله عز وجل ، ثم الآثام العظام مثل القتل والزنا ونحو ذلك ، وجاء في بعض الأحاديث الصحيحة أن إبليس أعاذنا الله منه ينصب عرشًا له على الماء وإذا أصبح بث جنوده وقال لهم من أضل منكم اليوم مسلمًا ألبِسه التاج؟ يضع عنده تاج جميل ويقول من أضل منكم مسلما ألبسه التاج وأدنيه ، فينتشرون فيأتي أحدهم ويقول لإبليس: لم أزل به حتى عق والديه ، قال يوشك أن يبرهما ، أريد أمر أكبر من هذا، فيأتيه الآخر ويقول: لم أزل به حتى طلَّق زوجته ، كم من الناس طلقوا زوجاتهم وذلك طاعة للشيطان في غضب ، كم من الناس استغل الشيطان غضبه ونفث فيه طلِّق طلق ، حتى إن بعضهم ينفث فيه أن لا يطلق طلقة واحدة بعضهم بنفث الشيطان يطلق في المجلس الواحد آلاف الطلقات! وتجده مغضب ومنتفخ والشيطان من الداخل يدفعه ويبدأ يعدد ألفاظ الطلاق "أنت طالق طالق طالق" بصوت عالي كل هذا من الشيطان ينفخ فيه من الداخل ، وبعضهم يقول أنت طالق ألف مرة مليون مرة الشيطان ينفخه من الداخل ،كل هذا من الشيطان كثير من الناس يعمل بهم الشيطان عمله في مثل هذا الباب وخاصة وقت الغضب ، أيضا يستغل وقت الغضب ليقتل ليضرب ليسب ليشتم ، فيأتيه أحدهم ويقول: لم أزل به حتى طلق زوجته قال يوشك أن يراجعها ، يعني يريد أمر أكبر من ذلك ، قال فيأتي آخر ويقول: لم أزل به حتى قتل مسلما فيقول أنت أنت ، فيأتيه آخر ويقول: لم أزل به حتى أشرك بالله فيقول أنت أنت ويلبسه التاج . فالشيطان قاعد لابن آدم بأطرقه ويبث جنوده لصد الناس وصرفهم عن دين الله وإيقاعهم في هذه السبل . قال : ((**وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**)) .

**ثم تلا عليه الصلاة والسلام :** ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام:١٥٣] . نسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا من المتقين ، وأن

يثبتنا على صراطه المستقيم ، اللهم اهدنا إليك صراطا مستقيما ، ونسأله تبارك وتعالى أن يعيذنا من همزات الشياطين ، وأن يعيذنا سبحانه وتعالى من حضور الشياطين ، وأن يوفقنا لكل خير يحبه ويرضاه .

قال رحمه الله تعالى :

**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكتبون من التوراة فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ((إن أحمق الحُمْق وأضلَّ الضلالة قومٌ رغِبوا عما جاء به نبيهم إلى نبيٍ غيرِ نبيّهم وإلى أمةٍ غير أمتهم)) ، ثم أنزل الله : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [العنكبوت:٥١] **. رواه الإسماعيلي في معجمه وابن مردُويَهْ .**

**********

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((**كان ناسٌ من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يكتبون من التوراة**)) يعني يكتبون بعض ما في التوراة المحرفة التي بأيدي اليهود .

((**فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم**)) فأنكر ذلك قال : ((**إن أحمق الحُمْق وأضلَّ الضلالة قومٌ رغِبوا عما جاء به نبيهم إلى نبيٍ غيرِ نبيّهم وإلى أمةٍ غير أمتهم**)) ، **ثم أنزل الله : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [العنكبوت:٥١] : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ أي أن القرآن فيه كفاية لهم وغنية ، ولهذا جاء عن بعض السلف أنه قال: «من لم يسعه ما في كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ومن لم يسعه ما وسِع الصحابة من العمل بالكتاب والعمل بالسنة فلا وسَّع الله عليه» ، لأن القرآن فيه كفاية القرآن الكريم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام فيهما الكفاية وفيهما الغنية .

فالمصنف رحمه الله ساق هذا الحديث لأنه فيه شاهد للترجمة من حيث الوصية بكتاب الله والتمسك به والإعراض عن غيره ، ولهذا أنكر عليه الصلاة والسلام على من كتبوا التوراة وقال في إنكاره : ((إن أحمق الحمق وأضل الضلالة من رغبوا عما جاء به نبيهم إلى نبي غير نبيهم وإلى أمة غير أمتهم)) ؛ هذا لو كانت أيضا التوراة سالمة من التحريف، كيف وهي أيضا مشتملة على تحريفات كبيرة وتغيير وتبديل لكلام الله!! ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩].

والحديث في سنده ضعف ، الحديث ضعيف لكن المعنى يشهد له في صحته الذي هو التحذير من الاشتغال بقراءة الكتب المنزلة على من قبلنا المحرفة يشهد له نصوص كثيرة منها النص الآتي .

قال رحمه الله تعالى :

**وعن عبد الله بن ثابت بن الحارث الأنصاري رضي الله عنه قال : دخل عمر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب فيه مواضع من التوراة فقال: «هذه أصبتها مع رجل من أهل الكتاب أعرضها عليك» فتغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيُّراً شديداً لم أر مثله قطٌّ . فقال عبد الله بن الحارث لعمر رضي الله عنهما : أما ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: «رضينا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ نبياً» ، فسُرّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ((لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم ، أنا حظُّكم من النبيين وأنتم حظِّي من الأمم)) رواه عبد الرَّزاق وابن سعد والحاكم في الكنى .**

**********

ثم ختم رحمه الله تعالى هذه الترجمة بهذا الحديث عن عبد الله بن ثابت بن الحارث الأنصاري رضي الله عنه قال : ((**دخل عمر** أي ابن الخطاب **رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم بكتابٍ فيه مواضع من التوراة**)) أي فيه أشياء من التوراة ، كتاب كُتب فيه أشياء من التوراة .

فقال : ((**هذه أصبتها مع رجل من أهل الكتاب أعرضها عليك؛ فتغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغيُّراً شديداً لم أر مثله قطٌّ**)) يقول ذلك عبد الله بن ثابت رضي الله عنه .

فقال عبد الله بن الحارث لعمر رضي الله عنهما : ((**أما ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟**)) ينبه عمر إلى التغير الذي حصل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال له ما قال .

فقال عمر رضي الله عنه : ((**رضينا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ نبياً**)) وما أجمل هذه الكلمة في هذا الموضع، بل قال عليه الصلاة والسلام: ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا)) .

((**فسُرّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم**)) وجاء في بعض الروايات : ((لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي)) ، عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان لا يحكم بالإنجيل وإنما يحكم بالقرآن الكريم .

قال: ((**أنا حظُّكم من النبيين**)) حظ هذه الأمة من النبيين هو محمد عليه الصلاة والسلام ؛ خير النبيين وأفضلهم وإمامهم صلوات الله وسلامه عليه ، وهذه نعمة الله على أمة الإسلام أن جعل حظهم من النبيين خير النبيين صلى الله عليه وسلم وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام .

قال: ((**أنا حظكم من النبيين وأنتم حظِّي من الأمم**)) وهذا فيه تنبيه منه عليه الصلاة والسلام جميل؛ إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام حظنا من النبيين ونحن حظه من الأمم لماذا يشغل بعض الناس نفسهم بكتب أنزلت

على من قبلنا؟ التوراة المحرفة والإنجيل المحرف وغير ذلك ! الواجب ان يشغلوا أنفسهم بما فيه الكفاية والغنية ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١] ، فالكتاب الكريم والسنة النبوية فيهما الكفاية والغنية .

وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .